

ممدوح التايب

# علمت بالنهر يطفو فوق جثتي

منشورات تكوين | نبوءات  
TAKWEEN PUBLISHING



# حلمتُ بالنهرِ يطفو فوق جُثتي

شعر

ممدوح التايب

الكاتب: ممدوح التايب  
عنوان الكتاب: حلمتُ بالنهرِ يطفو فوق جُثتي

X

تصميم الغلاف: يوسف عبدالله  
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

X

ر.د.م.ك: 9-70-775-9921-978  
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2023

1000 نسخة

X

جميع الحقوق محفوظة للناسر ©

X

منشورات تكوين  
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: + 965 98 81 04 40

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: + 964 78 11 00 58 60

✉ takween.publishing@gmail. 📘 takweenkw

com

📱 takween\_publishing

📱 TakweenPH

(١)

أنا عامل باليومية

أخرج كحشرة من بيتي

فلا أجد ملائكة تلمع الفتارين

ولا حورية واحدة تقعد تحت صورة

الرئيس، تمسك الجيتار وتغني.

يعاملني الأستاذ الجامعي كأني فقمة

خرجت من طست الغسيل لتشم الهواء.

تعاملني مذيعة التوك شو كأحدب

سيمزق لباسها في برج الكنيسة

ويقرع الأجراس.

تشك الدولة في نواياي الطيبة؛

ترسل، بعد العشاء، مملوكا بآلة حاسبة

ليعد كم طفلا تلده زوجتي في اليوم

وهل المولود فيلسوف أم صاحب سوابق.

\* \* \*

من أجلي قامت ثورات، وهدمت ضيع ومسارح

من أجلي أرسل الله الانبياء

فذهبوا جميعا لزيارة المتحف

وتركوني في مكتب البريد

أفرز رسائل المساجين وأتفل على الطوابع.

ها أنا في قاع التاريخ

أنتظر الحضارة لتدور كساقية

عارية الفخزين على طاولة القمار

مذ قال آدم:

«يارب هذي ذريتي فخذ منها

ما شئت من قتلة وحدادين

وظلل بعطفك ما شئت من جباة

وشعراء يبولون على الرصيف».

(٢)

اسمي؟

يا صديقي أنا ملعون

أتشمم إبطي لأنني جائع

وأجاوز القطارات لأنها تنسى

أين كانت، وإلى أين تذهب،

والموتى الذين يتجهمون

على الرصيف، أين يذهبون.

اسمي؟

نسيته في النهر، أو في القبر

أو في شعر حبيبتي

أو في خيمة العراف.

فاعطني مشنقةً ورغيف خبزٍ

وقلماً لم يذل في مواخير المرتزقة

كي أموت، كمعجزة أخيرة.

\* \* \*

أعطني مشنقةً ورغيف خبزٍ  
وقلماً لم يذل في مواخير المرتزقةِ  
أعطني هامشاً من الموتِ  
واللعبِ كأى مهرٍ في حقولِ  
الصبا المهلهلِ؛  
أعطني صنوراً من الحزنِ  
يبللُ قلبي  
كي أدرجَ الوقتَ نحو المنحدرِ  
وأهمسُ في أذن التي أحبها  
بأنَّ الصباحَ آسنٌ كالجرحِ  
والنهرُ يتصلبُ كثمارِ التوتِ  
حين تسقط من شراييني.

\* \* \*

أعطني سبباً واحداً

كي لا أشق قلبي

وأبحث فيه عن كفني.

أعطني الطفولة التي دلقتها

مرةً واحدةً في حجر العرافِ

فما صرثُ أميراً ولا بحراً

ولا صارَ النخلُ يتنفس في صدري.

رهنتُ ساعتِي عند عزرائيل

ونزلت النهر مرتين

وبقيت كما أنا، ناسكٌ بخطيئتين

فهل أتاني الموتُ وأنا أجز العشبَ

لأستعيد حبيبتِي؟!!

هل استعدتُ زمني وقطعتُ من لحمي؟!!

هل صدق العرافُ

وعدتُ لبيتنا أربي القطط؟!!

\* \* \*

تقولُ المذبةعة في برنامج مسائي

إنَّ رجلاً قلبه مدخنة

وعينه فارغتان من العطش،

كانت له حبيبةً بتنانير من القصب

ونهدينِ يبتذلُ الأنبياء في وصفهما،

أراد أن يزرعَ سنابل القمحِ

في سلاسل السجناءِ

ثم يحرقُ الخرائط

كإله بروليتاري يدمئُ الشعرَ والثورة

لكنه باعَ معجزاته عند أولِ

سيركٍ، ليشتري رغيفاً وحبلاً.

(٣)

خارج جدران بيتي

يتهاوى العالم

تزداد هشاشة الأشياء

يقترّب الموت حتى

أسمع دبيب قدميه

من خلفي،

ويصبح الناس أكثر عنفاً

كأن العالم سيفنى غداً.

رغم ذلك أخرج من بيتي

أتنفس الهواء الذي

يأتيني محملاً بالآهات

أستنشقها واحدة بعد أخرى

ليصبح حزني وحزن الآخرين واحداً.

أتحاشى وجه جاري

الذي سيموت بعد عامين بالسرطان

لأن خوفاً كان يريه في قلبه

صار يحدق في قلبي

كلما رأته صدفة

يجر جر يومه وجسده نحو البيت.

لا أقابل غير الموتى في الطريق

موتى حقيقيون بأحلام

تذبل مع الجسد

وأحزان خضراء تكبر فيهم

للأبد.

السماء التي تصبغ وجهها

كل يوم بخوف جديد

لتقابلني به

تلك السماء لا تخصني

فلونها لا يشبه الصبر

الذي عتقته عزلتي

يوماً بعد يوم

ويكفي أن أعود للعزلة

حتى تتفتت في قلبي

والطريق.

خارج جدران بيتي

أنا وحيد

وصالح للهدم

لكنني وراء الجدران

أراقب العالم من خلف النافذة

كسجان يراقب المسجون.

(٤)

في الصعيد

نكبر رجالا، وبسرعة،

حتى أننا لا نلتفت

للأطفال الذين كناهم

وهم يلوحون لنا

من أعين أمهاتنا

كي نتمهل، كي نعود.

نتعلم أن الدموع

عري الرجل

وليس لرجل عار

أن يقف مصلوب الظهر

ليحمل سقف بيت

أو لتحتمي به امرأة.

نتعلم أن سجننا

في القلب يجب

أن تحمل مفتاحه

تقف على بابه

وتسترق السمع

وتطمئن من أنك داخله

تتنفس وصامتاً تبكي.

لكننا في عتمة الوحدة

نفتح الأبواب

للطفولة والدموع.

(٥)

وجعي في ذاكرتي

لكن شفائي لم

يكن أبدا في النسيان.

أنا في مكاني،

وكل خطوة في التيه مكاني،

أراقب عمري يمر

أمامي كأنني أحلم

فهذا أنا، ربما، وأنا

طفل لم يعرف بعد

أبجدية الفقد.

وهذا أنا في العشرين

أقل بهاء من ميت

وأكثر خواء من حي.

وهذا أنا في الثلاثين

نصفي لي

ونصفي للفراع، يمضغه

ويسألني المزيد.

أتذكر أبي،

كان مسجوناً في حلمه

في البيت الذي تمناه

ممتداً على قيراطين

في الأغاني الشعبية

التي حفظها ولم

يكن من أبطالها

ولم يكن بطلاً

إلا في عيني

حتى بظهره المكسور

حتى وهو وحيد منطفئ

في غرفة الإنعاش.

أتذكر صاحبي

الذي تراهنا مرة

من سيسبق ظله

ليصعد النخلة

كانت الشمس بأصابع ساخنة

تلدغ براءة الطفولة

بيني وبينه

سبقتني فرميتته بحقدي

وفقات عينه

وحين حملت نعشه بعد

سنوات حين مات

في الرمال البعيدة

كانت دمعة واحدة،

من عين واحدة،

أبكيه بها

ولم تكن عيني.

أتذكر القاتل الذي

عشت عمرا أطمعه

من جسدي

حتى لم يبق مني

غير الفراغ

وصار يقتل الحب

الذي تمنينته

والأمل الذي أضاء

لي الطريق

وحين خطوت فيه

أضعته

ويمحو ذاتي التي

تنشظى، مهما تشبثت

بها تتفتت

لقتلة آخرين

لهم ظهر أبي المكسور

وعين صاحبي.

(٦)

أسكن خوفي، فلا يزورني أحد

أربثُ على ضعفي، فيسكن.

أنام، فأتركه وحيدًا يجول في الغرفة

وحين أصحو أراه في الزاوية

يحدق فيّ مثل ذئب حزين.

\* \* \*

أنا نزيل هذا البيت الهش

سكنت ألف بيت قبله

وبقيت ذاكرتي فارغة، إطار

للزمن أطل منه عليّ..

\* \* \*

أغسل وجهي من حزن الأمس

وأمام الصنبور أودعه

فلن أراه بعد الآن

فحين أخرج تمنحني الشوارع

في كل يومٍ وجهاً جديداً

قد يشبهني، وقد يشبه الموت

\* \* \*

أرتجل الضحك والموت معاً

حتى أجد لي مكاناً هنا، فالعالم

يتأكل داخلي.

\* \* \*

في التاسع والعشرين من مارس

أردم سنةً باهتةً،

أشعل فيها النسيان، وأتفرج

ثم وحيداً أمشي داخل قلقي

لأراني أتزاحم حولي

كلنا أنا، ولا يعرفني منا أحد.

\* \* \*

أترك عمري يتساقط؛ ولظلي الذي  
يستند شريداً على الجدار أن يستوقفني  
ليسألني عن جدوى العيش  
وهل لو كنا افترقنا في صبانا  
والتقينا بعد عشرات الندوب  
سنعرف بعضنا؟!

\* \* \*

مدينةٌ تعتق خرابها في رأسي  
أحمل مفاتيحها في جيبني  
أخمش جدرانها، ولا أرى الباب.

\* \* \*

(٧)

أركض..

تتعثر المدينة في خطواتي

...

كلما رأيت طفلاً

أتخيل حكاية ليتمه

وبيتنا فارغا ليبيكي فيه.

كلما رأيت بيتاً

أتخيل طفلاً سيكبرُ

داخله ليصبح شارعا

\* \* \*

قال لي بائع جوال،

بينما تطل رأسه

من حقيبته القديمة:

أنا رب هذه المدينة  
المطروود إليها منها.  
خلقتها لأسكنها  
فأسكنت صمتي، وتمددت.  
الآن أبيع جسدي  
لأسكن -في جسدها- غرفة  
أربي فيها يتمي.

\* \* \*

عينان محتقنتان بالقلق  
بروزتا جسدي أمام  
سينما (مترو)  
رأيت فيهما المدينة  
التي تنهض في  
حلمي مقبرة بأفواه.  
قالت المرأة التي

عيناها مدينتان:

كل صباح أقشر

عني الأنوثة

في مدينة شاحبة،

وفي المساء أطرز

الوحدة. أنا خائفة

ومتعبة، خائفة

وحزينة، خائفة

ويتيمة في جسدي،

وجسدي مدينة

بلا مفاتيح.

\* \* \*

كلما رأيت كومة

للقمامة، رأيت من

يفتش فيها عن

بقايا وقت أو فرح،

وأراني مكانه

أبحث عني

\* \* \*

كلما ركضت

سمعت لهاث الشوارع

واحدنا يدوس الآخر

وينكر أنه موجود.

يتيمان لهما الوجه

نفسه، أنا والبائع،

نتفحص سرنا حذرين

قصيدي متأهبة للقتل

وقلبه محتقن بكراهيتي

تبروزنا العينان القلقتان

للمرأة الشاحبة كمدينة

يسكن اليتيم ساكنيها.

(٨)

كيفَ أهلكَ المدنَ

التي أكرهها؟

لستُ إلهاً بموظفين ثقال الدم

لألعنها بالروتين اليوميِّ

وببرجوازية الفن والموت المثاليِّ

فأنا الهش الهامشيِّ المهشم

لا أبني غيرَ خرابي.

\*\*\*

حملتُ حقائبي بين المطاراتِ

وعند ضباطِ الجوازاتِ

كنتُ أتهجى تاريخي

بإذعاني المعتادِ للرقباءِ

وللرجال المتجهمين بالأحكام الإلهية.

وكنثُ أخاف أن يمحي اسمي

فأرجعُ للخواءِ يعوي داخلي.

\* \* \*

كانت المدن البعيدة تنبش

أسراري وأنا آكلُ فطوري

مع أقزام الحضارة في الصباحات الموحشة.

وتسلخُ عني صبرَ أجدادي

القساة وأنا أنزف عمري

في نهارات العمل الموحشة.

وتحقني بالأرق الطويل،

أرق الوحيد بين الوحيدين،

في ليالي الغربة الموحشة.

كانت المدن البعيدة تُشكّلني

من جديد كلِّ صباح

لأصبحَ نسخاً لا نهائية

للرجل الذي أخشاه.

\* \* \*

كلُّ أرض لم تحفظ خطوات

طفولتنا، هي نسيان

يمحو خطواتنا كعابرين.

كلُّ أرض لا تؤنسنا

ألفة أبوابها،

أرض بوار للحنين.

كلُّ أرض لم تقدر

دموعنا.. عرقنا.. دمنا

هي الموت الرخيص

والقبر الذي لا يستر

ميتاً يحيا داخله.

\* \* \*

كيف أهلك تلك القبور

التي عشتُ فيها فائضاً

عن الحاجة؟

كيف أستردُّ أرضَ طفولتي

وسماءها التي قشَّرها

السفرُ، فمحتها الأختام؟

أبحث عنها

في وجوه العابرين

مثلي، فلا أجدها،

صار الخواءُ أرضي.

(٩)

حلمتُ بالنهر يطفو فوق جثتي

كومت المدينة خوذاتها

فوق رأسي، وأنا نائم بعد وردية الحراسة،

قاتلتُ ألف ظلٍ لوحي

وخرجتُ منتصراً، بذراع وحيدة،

وألف خطاب بعلم الوصول

تتهمني كلها بأني أطلقت الرصاص

في الجهة الخطأ.

\* \* \*

من يمنحني اسماً حتى أقف

أمام الله والشوارع ودموع الأطفال

فلا أحس أنني أذوب؟

بابٌ يناديني من بعيد

وأخاف ما يخفيه،

لكن لو بقيت هنا سأدهس!

ولو ركضت نحوه، سأتلاشى

ولو انتظرته كي يأتي

سأفقد قلبي، قبل أن يمَسَّ أصابعي!

\* \* \*

نحن قتلة طيبون

والوجوه الكلسية/ الحنطية/ النحاسية/ الموشومة

بالبكاء الحامض، وجوه أبائنا من قبل.

ذات يوم كنا نحرقُ آخرَ كومة خوف

تسدُّ طريقنا أمام الله

فأخبرنا الأنبياء بالوكالة

أنَّ الأرض سيرثها الخائفون والملائكة

يمشون مطمئنين بلا سوابق.

\* \* \*

موتي، يا خطيئتي الحلوة!

يا طائري الأخضر!

هذا الانتظارُ ذئبٌ يأكل قلبي

فتعالِ كطعنة،

كصفعة، كغيمة، كساعي بريد

ولا تطرق الباب

فقط، اجلس وحيداً، وانتظر.

(١٠)

عرفت رجلاً كان يقطعُ جسده النحاسي

بالعدل بين فقراء المدينة،

والمدينة كهفُ بلا فم،

والنهرُ حين تسولنا، أنا وحببتي التي

باعها الحراس للغزاة، على جسره الأثري

كانَ بغيضاً،

مثل قاتلٍ فقا الخوف عينيه العشبيتين

فنام، ها هنا، بين فمي وكتفها المزروع

بالياسمين.

\* \* \*

وجهي! لم تحفظ المرأة التي فمها رصاصة ووردة

من ملامحه غير الفجيعة الملونة،

بلون البحر حين ألبسته قميصي

ونمنا متجاورين نحلم بالسفر،  
بلون الليل وهو يتمشى في أوردتنا  
مثل زمن عجوز نسي وقته  
حين تذكر أنه يكبر بلا نهاية،  
بلون المسدسات الحمقاء وهي تعلمنا  
أن القبلة رصاصة خرساء  
وأن الجرح وردة، والدم قصيدة بلا شاعر.

\* \* \*

سألت القطار، وهو يدهس امرأةً وجهها منمنمة  
لآلاف المراثي:  
لو حاذيتك حتى وصلنا إلى القبر معاً،  
فهل ستعيدني لطفولتي التي ضيعتها  
قبل سنين وأنا ألعب؟!  
لم يجبني، وزأر في طيور القمر  
وغادر، وشبح المرأة يلوح لي من آخر العربات.

\* \* \*

كانت حبيبتي عارية أمامنا  
نبحّ القاتل فأفزع النوارس تحت إبطيها،  
سد الجنرال الربّ فمها بشعرها  
الذي تحفظ عتمته ذاكرتي،  
جسدها يلهث تحت المسدسات،  
والمسدسات تحب أيضاً  
فالقبلة رصاصة خرساء  
والجرح وردة، والدم قصيدة بلا شاعر.

(١١)

أحلامنا طيورٌ لا تعرف الطيران

في سماء الكويت،

أسماؤنا تتلاشى بالأختام

وأذونات الدخول وصالة الجوازات.

هنا حيث الرجال وحيدون تماماً

كما ولدوا، وكما سيموتون،

كما أذن خربة، لطيور بلا أجنحة.

\*\*\*

وجهٌ كان يعتقُ الخوفَ

في عينيْن مريضتين،

كقمرين محتقنين بالرماد.

رأيته يفتش القمامةَ

عن وقتٍ فائض

أو حلم مستعمل ينبضُ

بوم بوم، ولا يموت.

ربما لأنه اعتادَ أن يحركَ

السنين الهرمة في الصناديق

فلا تُنسى.

بادلته الكرة لأننا على حافةٍ واحدةٍ

لهلاكٍ لا ينجو منه اثنان.

\* \* \*

وجهٌ كان يلف لي فطيرة

سوداء كمرثية،

حامضة كقبلة،

وأنا أدمج جسدي

ليومٍ طويلٍ من الركض

في شوارع تمحو خطواتي.

رأيتُ في عينيه طفلاً

هناك ينتظرُ، وينتظرُ  
حتى كبر مرةً واحدةً  
دون أن تدهش خطواته الهشةُ  
الأب الغائبَ.

رأيته ملفوفاً في البياض  
ولم ينقر الحلم المجنح  
شباكه، أو يسقيه من دمه.

\* \* \*

وجهٌ عرفْتُ فيه أنَّ  
الرجال عنيدون أمام البكاءِ  
ومسالمون أمام الموتِ.  
كان يمشي معي  
لندفن الحنينَ الذي تورَّم داخلنا،  
في صمتنا الذكوري الكئيبِ،  
ونحنُ بلا أسماء نستظل بها

من شمس الكويت

حين تصلبنا، كمارقين،

بين الجهراء والأحمدي.

(١٢)

هل عرفتم البحر

(بيضحك ليه)؟

مات عمي

دون أن يعرف.

رأى البحر أولاً في صورة

معلقة في غرفة الضيوف

كان البحر فيها ضاحكاً

فتخيل صوته

هادراً من البرواز

وكصعيدي ملعون بالحب

وبالولد وبالموت وبالسفر

كان يختم جراحه

في معبر السلوم

وفي الطريق إلى طرابلس

كان يغفو

ليحلم ببحره الضاحك؛

بينما البحر بجانب الإسفلت

يكبرُ كإله في شيخوخته،

يبحث عن خليفةٍ

لأحزانه الأبدية.

\* \* \*

كبرت أحزان عمي

داخله ومعه،

فألفها مع الوقت،

وعرف أن مخالب

الحزن لا تؤذي،

إلا من عاندها، ولم يبك.

مات وقد ترك بحراً

من الدموع

تبكيه في السر

كما بكاها،

لأن الرجال لا يبكون

أمام الرجال.

\* \* \*

شجرة الجميز ظللت

بيت جدي، وماتت معه

فعاش ظلاهما بعدهما

كنا نتأدب

في الكلام

ونعتدل في الجلوس

إذا ما الظل -مقوس الظهر- مرّ

ولوح بالتحية.

كنا نروي الظلّ

بدموع جدتنا

التي تذرّفها من القبر.

\* \* \*

كان لجدتي صندوقٌ

جاءت به ليلة عرسها

مغلّقاً، ولم يفتح.

قالت إنها أحلامها

العذراء تكبرُ معها

بداخله، فلا تفض.

قالت إنها طفولتها

قد خبأتها هنا

لتعود إليها متى كبرت.

قالت إنه بحر حقيقي

كالذي في الصورة

لكنه عجوز، وحزين.

وقالت إنه (اللا شيء)

تخبئه لأيام

لن نجد فيها

حتى الخواء.

وحين ماتت... اختفى!

\* \* \*

تبكي أمي

أخاها الغريق

منذ عشرين سنة

وتسمع البحر من البرواز

يعايرها بقلة الحيلة.

تبكي أمي

طفولتهما،

ألعابهما البدائية،

يتمهما وهما

لم يكبرا بما يكفي

ليبيكيا الأبوين

ويلاحقا ظليهما.

وفي البحر رأته وحيداً

يغرق في دموع

اليتيم والطفولة

ليضحك البحر العجوز.

(١٣)

أيها الحزن، أيها السردابُ

السحريّ المجنون!

منذ ألفِ قِيامةٍ

والشموسُ تتساقطُ

في كلِ المواسمِ

بينَ عيوني والأفقِ،

غريبُ ذاك الأفقُ

الذي لا وجهَ له

حتى يبروزَ في مجازٍ!

\* \* \*

خيطةٌ فمي بحكمةٍ

أجهلُ من أي حربٍ

غَنِمْتُهَا. صوتي يتأكلُ

داخَلَ رأسي،  
يؤرِّقني أنه حيّ  
لم يزل، أسمعُه  
يرتجلُ تاريخه الشخصي  
وأصدق أنه صوتي  
لأننا وحيدان في جسدي.

\* \* \*

أُتسلِّقُ يومي المعتادَ  
بدأبِ حطابٍ قديمٍ  
يقتلُ الأشجارَ لأنّها  
بابٌ للطفولةِ  
ويعشقُ الطرْقَ الكئيبةَ  
لأنّها بابٌ للبحرِ  
الذي، من لحظةِ التكوينِ،  
ما يزالُ في انتظارٍ

أن يكونَ شيخاً أو سماء.

\* \* \*

عندما أصبحُ وعلاً

أو خطيئةً، سأتركُ

للأرصفةِ خبزي

لأعلمَ الثورات أنْ

الجوعَ سجنٌ بلا طبشورٍ،

فالنوافذُ المتخيلةُ

والطريقُ على الجدارِ

وغفلةِ الحراس

محضُ مجازٍ لجوعٍ

الروحِ لعالمٍ بلا أبوابٍ.

\* \* \*

ليسَ هنا أسوأ من

سجنٍ أنتَ سجيئته

وسجّانه

أنا النزيلُ الوحيدُ

لعالمي القديم،

كلما واجهتُ باباً

أحسستُ بالألفةِ

ورسمتُ له الزنزانةَ

والسجّان.

(١٤)

أدعو النهارَ لنتمشى معاً  
لسانه الحامضي يتدلّى  
وأنا أصفر لحناً بحرياً  
بينما أكوي قميصي، لألتقي  
المرأة المغسولة بالخمير والقصائد.

\* \* \*

المساء واسع  
وقلبي ينكمش وينكمش،  
أحاول أن ألبس الليل معطفي  
فلا تفرّ الفراشات.

\* \* \*

أقف تحت شجرة مانجو  
بوردة ترتعش في يدي

لأقطف من غصنٍ قريب  
أربعين ثمرة... أربعين قبلة خضراء،

ثم ألقى جسدي في أول  
باص، فيه دُمي نُحاسيةً، تُشبهني،  
لأسب الفقر وعنصرية الرصاص.

\* \* \*

أتنكر في صورة بستانٍ عجوز  
ينتظر الخريف ليأخذ ثأراً قديماً،  
خريفٌ صغيرٌ بلا مسام في  
جلده الرمادي المطاط،  
خريفٌ ارستقراطي، يقرأ الشعرَ  
كما يقضم سفاخ حزين  
أصابع الأطفال.

\* \* \*

تسأل المذيعةُ جندياً ميّتاً

يقف تحت ضوء النيون الخافت في المترو،

في انتظار رفيق

ما يزال يبحث عن قدميه:

هل أنت سعيدٌ؟

هل أحببت طعمَ البارود؟

هل أبوسك بين عينيك الفحمتين،

ونلتقط لنا صورةً؟

\* \* \*

تحت ضوء النيون الخافت

يوجد نبيّ برجوازيّ

بيني وبين امرأة زرقاء،

ونحن نُمارسُ الحبّ،

يُسجّلُ في دفتره المُزركش بالأظافر

أنّ الحياة ستستمر طالما هناك

رجل حزين يسمع صوت الحديقة

ولا يندهش!

وامرأة تعض شحمة أذنه

وتهمس: ليتنا نموت!

(١٥)

في السنة التي فقدت فيها صديقاً

تحت عجلات المترو،

كانت الشوارعُ

تختنق بالبارود وبالخوذات،

وكانت السيدة، التي تمرُّ على أشلائه

كل صباح، تفرق علينا البكاء بالتساوي،

فيفيضُ

لنعطي منه للباعة في الأنفاقِ

ولبنتٍ وحيدة، أمام السينما،

تموتُ وتدفنُ، كلَّ ليلة، في صمتٍ.

\* \* \*

في السنة نفسها نسيْتُ

أن أقتل نفسي، كما أقسمتُ،

وتركتُ بابي موارباً للحزنِ والفسلِ:

فشلي في الموتِ حين كبرتُ

واكتشفتُ أن الطريق لا تنتهي،

فشلي في أن أضحك حبيبتي

فاشتريت لها طائراً وبنديقةً،

وعلمتها القتل.

\* \* \*

في السنةِ نفسها أيضاً، حملتُ مدينتي

التي تموتُ على ظهري،

وطلبتُ اللجوءَ في بيتٍ للمرابين

وتجارِ البشرِ،

فأعجبهم أنني أربِّي لي

من عجزي سيداً

أرتمي تحتَ قدميه، فلو أعطاني

لقمةً أعبده؛

لأنني بلا مدينة، تسند حلمي حين يشيخُ.

\*\*\*

في السنة نفسها أيضاً مثُ

وأنا أصدُ خرابي وحيداً،

كنتُ سعيداً

أغني حتى أخرج من حنجرتي

كل طفولتي وحكايات أمي

وأتركها على الأرض تنشُف، كالزهورِ،

ثمَّ أدهسُها، وأبكي.

(١٦)

في المرايا لا أرى نفسي

وأرى كل أعدائي.

الصوت الذي أتكلم به

هو صوت أحدهم.

العين التي أرى بها

موتي القادم كالجحيم

هي عين أحدهم.

ذاكرتي هي حياة أخرى

عاشها أحدهم ذات يوم

وصار يطاردني في الأحلام

لأنني أخطأت وولدت في جسدي

الذي تبقى من حياة أحدهم.

أشعر أن الغربة صارت

أكبر من باسبور وحقبة

صارا جزءاً مما أظنه جسدي.

أشعر أنني مموه تماماً..

ضئيل جداً..

هامشي جداً..

شفاف للحد الذي أصلح

فيه أن أموت، ولا يرثيني أحد.

ذات يوم استيقظت

وبصقت دماً على الأرض

وقلت إن هكذا صباح

يليق بي لأكفر،

أو لأختفي من العالم

ببساطة الأشياء العادية

حين تموت.

فكرت أن الكآبة

ستبلعني ذات يوم

لتبصقني على رصيف العالم

طيفاً يخاف منه المخدوعون.

فكرت أن حياتي نكتة سمجة

قلتها لأعدائي ليموتوا

من الضحك، فارتدت إلي

ويا للغرابة!! قد أضحككتني.

ذات يوم سأتخلى عني

عن الأمل المشوه بأن الغد

الأجمل سوف يجيء،

عن الطفلين الذين يكبران

في قلبي، كمسمارين سيفثأنه

ذات يوم.

سأنزع تلك الرغبة في الحياة

كمريض أحب الموت فجأة

لأن ورم الحياة كبر بما يكفي

ليصير جسداً آخر يعايره بالضعف.

سأكون ذلك المريض الذي يخلع

أجهزة التنفس عن أحلامه كلها

ليموت سعيداً في النهاية

ويدخل في أقرب مرآة

ليعانق الأعداء.

## (١٧)

كلما قررت أن أنتحر

تشدني يد للخلف

حينها تحلو الحياة فجأة،

كأن الحزن الذي أحرقت

به عمري،

والخوف الذي عقدته

حول عنقي،

والندم من المشي

لمسافات أخرى على الأرض

سراب هش

يكفي أن أملأ صدري بالهواء

ليتلاشى.

كلما قررت أن أتخفف

من عبء أنني حي

وأن أمامي زمن آخر

لأخاف فيه وأندم،

تشدني يد طفل

يكبر في قلبي

رغم أنني أخنقه كل يوم،

وأسمع حينها صوت

هددة كان يطمئنني

في الطفولة،

وصار يخيفني حين كبرت

وطفت بلادا مسختني

لرجل يخاف أن يحب

وأن يغني

وأن يرى البحر حتى

لو ميتا في برواز.

كلما قررت أن أموت

تعيدني الحياة لهاشتها

لأحرس أوهامي وأحرثها

وأشاهد زوالي المتجدد

في كل صباح.

1. الغلاف
2. حلمتُ بالنَّهرِ يطفو فوقِ جُثَّتِي
3. (١)
4. (٢)
5. (٣)
6. (٤)
7. (٥)
8. (٦)
9. (٧)
10. (٨)
11. (٩)
12. (١٠)
13. (١١)
14. (١٢)
15. (١٣)
16. (١٤)
17. (١٥)
18. (١٦)
19. (١٧)